علاقة الإسلام بالأديان الأخرى

د. فاتح حليمي
جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الاسلامية -قسنطينة

الملخص:

تأتي هذه الدراسة والموسومة بـ (علاقة الإسلام بالأديان الأخرى) في وقت تعاني فيه البشرية من كثرة الصراعات والحروب التي خلفت العديد من الضحايا الأبرياء، وتهدف الدراسة إلى تقديم إجابات وافية وحلول مقنعة من خلال العودة إلى أصول الإسلام والكشف عن طبيعة العلاقة التي تحكم الإسلام بالأديان والثقافات الأخرى ومدى إمكانية نشر ثقافة الاعتراف بالأخر وإقرار العيش المشترك واحترام حرية المعتقد.

Summary:

This study comes and tagged (relationship between Islam and other religions) at a time when human suffering from frequent conflicts and wars that left many innocent victims, the study aims to provide adequate answers and convincing solutions through a return to the origins of Islam and the disclosure of the nature of the relationship that Islam religions and other cultures and the possibility of spreading the culture of recognition of the other and the adoption of co-existence and respect for freedom of thought control.

تعيش البشرية في الآونة الأخيرة على وقع الصدامات والصراعات، تحت مسميات شتى، ثقافية، سياسية، اقتصادية، عسكرية، خلفت العديد من الضحايا الأبرياء العزل في أصقاع المعمورة، والمؤسف هو أن ثقافة الإقصاء والإلغاء هي التي صارت سائدة بين جل الأديان والثقافات والأيديولوجيات، ذلك أن كل جهة قوية صارت تحاول إلغاء الآخر وتعمل على عدم الاعتراف بالآخر وتلغي جميع حقوقه وهو ما يجعل البشرية في مواجهة هذا التحدي الوجودي الكبير، والذي بات يشغل حيزا كبيرا من المساحات الإعلامية، ذلك أنه صار أحد أهم القضايا الكبرى التي تشغل بال الخيرين من المفكرين قصد تقديم إجابات وحلول مقبولة ومعقولة، ومن جهتنا سنعود للبحث في نصوص الإسلام الأساسية

لنرى كيف عالج الموضوع، ومن هنا نطرح السؤال: ما هي طبيعة العلاقة التي تربط الإسلام بالأديان الأخرى؟، وما هي نظرة الإسلام لبقية الأديان؟ هل هي نظرة اقصائية صدامية؟ أم أنه يدعو إلى التعايش واحترام الآخر.

إن الإجابة على هذا السؤال الجوهري تحتم علينا العودة إلى النصوص التأسيسية لهذا الدين، وأعني بذلك القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، غير أني في هذا المقال سأكتفي بالتركيز على القرآن الكريم باعتباره الوحي الإلهي الخالد والخاتم، كما أنه المصدر الأساسي للتشريع عند كل المسلمين على اختلاف اعتقاداتهم ومذاهبهم، وإن الدارس له يستشف كيف حدد الإسلام تلك العلاقة مع بقية الأديان والثقافات، ويتأكد من نظرة الإسلام إلى الآخر، وذلك من خلال جملة من المحددات، التي أشارت إليها الآيات الكريمة التي طرقت الموضوع والتي تدور حول القضايا والمحددات التالية:

1- الدين عند الله هو الإسلام:

وردت آيات عديدة في كتاب الله تعالى تبين بشكل جلي وواضح أن الدين عند الله سبحانه وتعالى واحد هو الإسلام، ولم يتبدل سابقا ولن يتغير لاحقا، وقد كلف الأنبياء والرسل بتبليغه للبشر بداية بآدم وانتهاء بمحمد ﷺ، وإلى يوم الدين ، وهنا تجدر الإشارة إلى أن هذه الخاصية تشترك فيها جميع الأديان، أرضية وسماوية، فكل دين يعتقد أتباعه والمؤمنين به أنه هو الدين الصحيح وما عداه باطل، غير أن الإسلام تميز بطريقة عرضه للفكرة، ومن ذلك فإن الله تعالى يقول في كتابه الكريم: (إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الإسلام وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْياً بَيْنَهُمْ وَمَنْ يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ)[1]، وقد قال الإمام ابن كثير في تفسيره للآية الكريمة: " {إن الدين عند الله الإسلام} إخبار منه تعالى بأنه لا دين عنده يقبله من أحد سوى الإسلام، وهو إتباع الرسل فيما بعثهم الله به في كل حين، حتى ختموا بمحمد صلى الله عليه وسلم الذي سد جميع الطرق إليه إلا من جهة مُحَمَّد صلى الله عليه وسلم، فمن لقي الله بعد بعثة مُحَمَّد صلى الله عليه وسلم بدين على غير شريعته فليس بمتقبل كما قال تعالى: {ومن يبتغ غير

[1]- آل عمران، 19 .

الإسلام ديناً فلن يقبل منه} الآية، وقال في هذه الآية مخبراً بانحصار الدين المتقبل منه عنده في الإسلام"[1]، ومعنى ذلك أن الدين الذي يكون سببا لنجاة صاحبه يوم القيامة هو الإسلام، وقال صاحب تفسير الجلالين: "(إن الدين) المرضي (عند الله) هو (الإسلام) أي الشرع المبعوث به الرسل المبني على التوحيد"[2]، وبذلك فان جل أقوال المفسرين تتفق على أن الدين الذي ارتضاه لعباده هو الإسلام وهو الدين المتقبل عنده يوم الحساب، على أن تكون الحياة الدنيا دار امتحان وبلاء، هذا وقد أكد القرآن الكريم على ذات المعنى في آية أخرى حيث قال: (وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الإسلام دِيناً فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ)[3]، وفسرها ابن كثير في تفسيره، فقال: "أي من سلك طريقاً سوى ما شرعه الله فلن يقبل منه" [4]، أما الإمام الطبري فيقول: "ومن يطلب دينا غير دين الإسلام ليدين به، فلن يقبل الله منه"[5]، وأيد ذلك الإمام الرازي في تفسيره للآية، حينما قال: "اعلم أنه تعالى لما قال في آخر الآية المتقدمة {وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ} (آل عمران: 84) أتبعه بأن بيّن في هذه الآية أن الدين ليس إلا الإسلام، وأن كل دين سوى الإسلام فإنه غير مقبول عند الله، لأن القبول للعمل هو أن يرضى الله ذلك العمل، ويرضى عن فاعله ويثيبه عليه"[6]، وعليه فان القرآن الكريم يؤكد بشكل صريح على أن الإسلام هو الدين الذي يقبله الله من صاحبه غدا يوم القيامة، تاركا للإنسان حرية اتخاذ القرارات التي سيسأل عنها غدا يوم القيامة، كما يترتب عن ذلك تكليف المسلمين بتبليغ رسالته للبشرية جمعاء إقامة للحجة عليهم .

[1] – ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج 2، ص 24

[2] – تفسير الجلالين ، ج1، ص 319 .

[3] – آل عمران، 85 .

[4] – ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج 2، ص 69 .

[5] – الطبري، جامع البيان في تفسير القرآن، ج 3، ص 80.

[6] – الرازي، مفاتيح الغيب، ج 3 ، ص 454 .

2 . رسالة الأنبياء واحدة:

يؤكد القرآن الكريم على أن رسالة الأنبياء على مر التاريخ هي رسالة واحدة وخاصة في جانبها العقدي، لأنها صادرة من ذات المنبع، قال الله تعالى: (شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحاً وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ) [1]، قال ابن كثير في تفسيره للآية: "يقول تعالى لهذه الأمة: {شرع لكم من الدين ما وصى به نوحاً والذي أوحينا إليك}، فذكر أول الرسل بعد آدم وهو (نوح) عليه السلام، وآخرهم وهو محمد (صلى الله عليه وسلم)، ثم ذكر ما بين ذلك من أولي العزم، وهو: إبراهيم وموسى وعيسى بن مريم، وهذه الآية انتظمت ذكر الخمسة، كما اشتملت آية الأحزاب عليهم في قوله تبارك وتعالى: {وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وإبراهيم وموسى وعيسى بن مريم} الآية. والدين الذي جاءت به الرسل كلهم، هو عبادة الله وحده لا شريك له، كما قال عزَّ وجلَّ: {وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون}، وفي الحديث: "نحن معشر الأنبياء أولاد علاّت، ديننا واحد" أي القدر المشترك بينهم هو عبادة الله وحده لا شريك له، وإن اختلفت شرائعهم ومناهجهم " [2]، و هو ما أكده الثعالبي في تفسيره للآية حيث قال " شرع لكم من المعتقدات والتوحيد ما وصى به نوحا من قبل " [3]، وهو ما يبين بأن رسالات الأنبياء إلى البشر على مر الزمان كانت في جوهرها واحدة، وخاصة في جانبها العقدي، والتي كانت جميعها تركز على وحدانية الله تعالى وتنفي الشرك وتنزهه عنه .

---

1 - الشورى، 13 .

2 - ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج 7، ص 194.

3 - الثعالبي، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، ج 3، ص 376.

3 . الاعتراف بتعدد الأديان:

أكد القرآن بشكل صريح على أن الإسلام هو الدين الصحيح، حيث قال: (إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الإسلام وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْياً بَيْنَهُمْ وَمَنْ يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ)[1]، كما أنه الدين الذي سيكون سببا في النجاة غدا يوم القيامة، ولكنه في جانب آخر لم يغفل عن الواقع الذي يعيشه الناس بإتباعهم لديانات كثيرة ومتعددة، ومن ثم اعترف بوجودها الواقعي وإن لم يقر بشرعيتها، ولذلك تعرض القرآن إلى ذكر هذه الديانات بشكل عام كعباد الأوثان والأصنام وقوى ومظاهر الطبيعة، كما ذكر ديانات أخرى بأسمائها كالمجوسية والصابئة والنصرانية واليهودية، وفي حديثه مع مشركي قريش خاطبهم الرسول ﷺ فقال كما حكى القرآن الكريم في سورة الكافرون: لكم دينكم ولي دين، في حين أن الأديان الأخرى لا تعترف بالآخر فضلا عن الحديث عن شرعيته .

4 . ضمان حرية المعتقد :

إن مما ميز الإسلام كدين، أنه جاء ليحرر الإنسان من الظلم الذي يحيا فيه، إضافة إلى دعوته الصريحة للحرية وتقديسه لها، وتأكيده على أن الإنسان حر وسيد في اختياراته، ومن ثم تأتي مسؤوليته عنها، وهو ما يعني وجود مسألة الحساب والعقاب يوم القيامة، والتي هي من صلاحيات الله عز وجل دون غيره، كما أن القرآن الكريم في آياته حرّم الظلم، وخاصة ظلم الإنسان لأخيه الإنسان، لبشاعته وشناعته ، إلى درجة أن الله تعالى حرمه على ذاته المقدسة ، ومن ثم فإن أي إنسان هو إما أخ للمسلم في الدين أو نظير له في الإنسانية والخلق، وحتى في أسوأ الظروف، حين يقع الظلم على المسلم، فيضطر المسلمون للدفاع عن أوطانهم و أنفسهم وحقوقهم، حثهم الإسلام على أن لا يتجاوزوا الحد، بدليل قوله تعالى في سورة البقرة: (فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم)[2]، وهو ما يفضي إلى حقيقة أخرى ترتبت عن ذلك، وهي أن الإسلام أقر وضمن للناس الذين يعيشون تحت

---

[1] - آل عمران، 19 .

[2] - البقرة: 194

كنفه حرية المعتقد، ولذلك فلا إكراه ولا غصب في العقيدة، لأن "أمر الإيمان هو أصل الدين، وجوهره عبارة عن إذعان النفس، ويستحيل أن يكون الإذعان بالإلزام والإكراه، وإنما يكون بالبيان والبرهان"[1]، كما أن ذلك غير مستساغ، فضلا على أنه لا يليق، بل ويؤكد الرازي أنه " لا يجوز في دار الدنيا التي هي دار الابتلاء، إذ في القهر والإكراه على الدين بطلان معنى الابتلاء والامتحان "[2]، ومن ثم فإن التدين الصحيح الذي يدعو إليه الإسلام، لا يقسر فيه الإنسان ويجبر على الإيمان، وإنما يكون عن اختيار حر واقتناع تام، ولذلك فإن تعاليم الإسلام لا تسمح بإكراه الناس وغصبهم على تغيير معتقداتهم، لأنه ليس بحاجة إلى جيل منافق يبطن الكفر لأنه اختاره في سره، ويظهر الإيمان خوفا من البشر، ويؤكد هذه الحقيقة القرآن الكريم، في قوله تعالى: (لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ)[3]، فالآية الكريمة تنهى المسلمين، وتمنعهم من أن يكرهوا أي أحد على الدخول فيه، لأن الإسلام كما ذكر ابن كثير " بيّن واضح، جلي دلائله وبراهينه، لا يحتاج إلى أن يكره أحد على الدخول فيه، بل من هداه الله للإسلام وشرح صدره ونوَّر بصيرته دخل فيه على بينة، ومن أعمى الله قلبه وختم على سمعه وبصره فإنه لا يفيده الدخول في الدين مكرها مقسورا "[4]، ذلك أن مسألة اعتناق دين، ثم الالتزام بعد ذلك بأحكامه وتعاليمه، تقتضي الحرية والاختيار، وعليه فإن المراد من الآية حسب ما أكد الرازي، أن الله تعالى "ما بنى أمر الإيمان على الإجبار والقسر، وإنما بناه على التمكن والاختيار"[5] .

والآية مدنية، نزلت – على قول الإمام البخاري – قبل غزوة أحد، والتي لا خلاف في أنها كانت في شوال سنة ثلاث للهجرة، أي بعد ستة عشر سنة كاملة من البعثة النبوية،

1 – محمد رشيد رضا، تفسير المنار، ج 3، ص 37 .
2 – الرازي، مفاتيح الغيب، ج 3 ، ص 454 .
3 – البقرة، 256 .
4 – ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج 1 ، ص 682 .
5 – الرازي، مفاتيح الغيب، ج 3، ص 454 .

حيث لا زال المشركون من قريش يقصدون المسلمين بالحرب ، كما نقض يهود بني النضير عهد النبي ﷺ، وهموا باغتياله مرتين وهم بجواره في ضواحي المدينة، ومع ذلك لم يأت الإكراه، وبذلك فإن قول الله تعالى لا إكراه في الدين، يمثل "قاعدة كبرى من قواعد الدين وركن عظيم من أركان سياسته فهو لا يجيز إكراه أحد على الدخول فيه ولا يسمح لأحد أن يكره أحدا من أهله على الخروج منه، وإنما نكون متمكنين من إقامة هذا الركن وحفظ هذه القاعدة، إذا كنا أصحاب قوة ومنعة نحمي بها ديننا وأنفسنا ممن يحاول فتنتنا في ديننا اعتداء علينا ... إذ أمرنا أن ندعو إلى سبيل ربنا بالحكمة والموعظة الحسنة وأن نجادل المخالفين بالتي هي أحسن معتمدين على أن نبين الرشد من الغي بالبرهان وهو الصراط المستقيم إلى الإيمان ، مع حرية الدعوة وأمن الفتنة فالجهاد من الدين بهذا الاعتبار، أي أنه ليس من جوهره ومقاصده وإنما هو سياج له وجنة، فهو أمر سياسي لازم له للضرورة"[1]، ومما يؤكد هذا الرأي قول الرازي: "أن الله تعالى قال بعد هذه الآية (قد تبين الرشد من الغي)[2]، يعني ظهرت الدلائل، ووضحت البينات"[3]، وعليه فلا يجوز حمل الآخرين من غير المسلمين، على تغيير معتقداتهم واعتناق الإسلام، ونظير هذا الرأي في القرآن، قوله تعالى: (وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر)[4]، وقوله في سورة أخرى (وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَن فِي ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُواْ مُؤْمِنِينَ)[5]، وهذا الرأي الرأي يؤدي إلى تنوع واختلاف البشر، وانطلاقا من زاوية النظرة القرآنية ، فإن البشر خلقوا بهذه الخصائص الغنية والمختلفة، وإن من الخطأ اتخاذ هذا الاختلاف سببا للصراع وللخصام، ذلك أن مثل هذا الخطأ سيؤدي إلى الإخلال بالأمن وبالسلام، ويلحق ضرراً

---

[1] – مُحَّد رشيد رضا، تفسير المنار، ط2، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ج 3، ص 36 –39 .

[2] – البقرة: 256

[3] – الرازي، مفاتيح الغيب، ج 3، ص 454 .

[4] – الكهف: 29

[5] – الشعراء: 3، 4 .

كبيراً بالإنسانية، وينسف جميع جسور التفاهم[1]، بينما الصواب هو عدّ كل اختلاف بين البشر، مسألة طبيعية وعادية، ذلك أن مشيئة الله وحكمته، اقتضت وجود الاختلاف في كل مظاهر الكون والحياة، منها الإنسان، ومظاهر الاختلاف فيه بادية في العقائد و الطبائع والسلوك...، وهو ما عبر عنه القرآن الكريم في قوله تعالى (ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ولا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم) [2]، وفي قوله تعالى أيضا (ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة ولكن ليبلوكم في ما آتاكم فاستبقوا الخيرات إلى الله مرجعكم جميعاً فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون)[3].

ومما سبق ذكره من المحددات الأساسية لعلاقة الإسلام بالأديان الأخرى، يتبين بشكل جلي أن الإسلام يعترف بالآخر ويدعو إلى التعايش في كنف الإخاء مع ضمان حرية المعتقد لجميع البشر وهو ما يؤهله حقيقة إلى قيادة البشرية إلى بر الأمان .

[1] - على بولاج، وثيقة المدينة المنورة - وثيقة السلام في مجتمع متعدد الثقافات والأديان، www.science-islam.net

[2] - هود : 118-119

[3] - المائدة : 48